فاصلة النون ومدلولاتها في السور التي وردت فيها قصة النبي يونس عليه السلام

د. باسم ناظم سليمان [*]

١. الفاصلة لغةً واصطلاحاً

أ. الفاصلة لغة

تعنى الفاصلة في اللغة الحرف الأخير من الآية الكريمة، وهي تشبه خرزات العقد الثمين، فهي (الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصل النظم. وعقد مفصل أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة، والفصل القضاء بين الحق والباطل واسم ذلك القضاء الذي يفصل بينهما فيصل، وهو قضاء فيصل وفاصل (...) وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر، جل كتاب الله عز وجل، واحدتها فاصلة)[١].

ب. الفاصلة اصطلاحاً

تشبه الفاصلة الشعر، إذ تكون في خاتمة كل آية، وقد تتماثل، أو تختلف، وترد في (آخر الآية كقافية الشعر، وسجعة النثر. والتفصيل توافق أواخر الآية في حروف الروي، وفي الوزن، مما يقتضيه المعنى وتستريح إليه النفوس)[٢].

(*) رئيس قسم اللغة العربية - كلية التربية / جامعة كركوك.

(١) لسان العرب المحيط: ابن منظور، تقديم عبدالله العلايلي، دار لسان العرب، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ، ١١٠١/٢.

(٢) الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، دار الأصيل، سوريا، دون طبعة، دون تاريخ، ٢٦.

٢. آراء حول دلالة الأصوات على معانيها

أ. آراء القدماء

موضوع العلاقة بين جرس الألفاظ ودلالاتها قديم منذ عهد فلاسفة اليونان، والرومان قبل الميلاد، لقد انقسموا إلى فريقين (أولئك الذين نادوا بوجود رابطة طبيعية تدركها العقول وتتقبلها الإفهام بين الأصوات والمدلولات وآخرون يرون أن الأمر لا يعدو أن يكون اصطلاحاً عرفياً جرى عليه الناس في كلامهم وان لا علاقة بين الأصوات والمدلولات إلا بقدر ما سمح به العرف والاصطلاح)(٣).

أدرك اللغويون العرب الصلة الطبيعية بين إيقاع الصوت ومدلولاته من حيث القوة والضعف، وبين جني هذه العلاقة قائلاً (إلا تراهم قالوا قضم في اليابس، وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأخف للفعل الأضعف)(٤) وشبه الجرجاني تأثير الأصوات في السمع بتأثير الألوان في البصر (وانما الكلام أصوات محلها من الأسماع محل النواظر من الإبصار)(٥) اما ابن الأثير فقد أعطى للصوت قيمة للمفاضلة بين الألفاظ (فالذي يستلذه السمع منها، ويميل إليه هو الحسن، والذي يكرهه وينفر عنه هو القبيح)(٦) اما السيوطي فأكد العلاقة بين اللفظ ومدلوله من حيث الجرس بصورة

---

(٣) من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو، مصر، ط٥، ١٩٧٥م / ١٤١.

(٤) الخصائص: ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٥٢م، ١/٦٥.

(٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه: عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٥١م / ٤١٢.

(٦) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير، تحقيق احمد محمد الحوفي، بدوي طبارة، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٥٩م، ١/ ١١٥.

طبيعية (وإلا لكان تخصيص الاسم المعين بالمسمى ترجيحاً من غير مرجح)(٧).

كانت معجزة القرآن الكريم في جمال الألفاظ الموحية، وروعة المعاني، فان الله تعالى يعلم خفايا النفس البشرية، وكان العرب أهل فصاحة، وبيان لذلك تأثروا بالقرآن الكريم وببلاغته، وبجمال فواصله، وقد اعجب الوليد بآيات كريمات بعد أن سمع سورة مباركة من القرآن الكريم فعبر عن إعجابه، وتأثره قائلاً (أن له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغذق وان أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر)(٨) فلقد اثر القرآن الكريم في النفوس، وغيّر المفاهيم، وتجلت في سوره المباركة قوة التعبير، وبلاغة الألفاظ، وروعة المعاني، وسلاسة الأسلوب.

ب. آراء المحدثين

تطرق قسم من المحدثين إلى إيقاع الفواصل، وارتباط الأصوات بمعانيها، فذكر الرافعي أن هذه الفواصل (متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب)(٩) أن الإيقاع المنبعث من الفواصل لا يتحقق تأثيره دون وجود مستمع يحس بجمال الأصوات، لان أصوات الطبيعة بشكل عام، وأصوات الفواصل بشكل خاص ـ كما يرى الزيدي ـ تحتاج إلى (تهيؤ وجداني لاستقبال أو بعبارة أخرى إلى تحسس ذاتي ويقظة وجدانية تدركه وتنفعل به. ومن هنا فان الذين تأثروا به لابد انهم

---

(٧) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي، شرح محمد احمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد ابو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، دوم طبعة، دون تاريخ، ١/ ٤٧.

(٨) دلائل الإعجاز: عبدالقاهر الجرجاني: تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، دون طبعة، ١٩٦٩م / ٣٥٨.

(٩) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ / ٢١٧.

كانوا يملكون قدرا وافيا حيا من هذا التحسس)(١٠) ويرى ماهر مهدي هلال أن الإيقاع المنبعث من الكلمة يتغلغل إلى أعماق النفس البشرية من اجل (إثارة الجوانب الروحية الكامنة في ذات الإنسان أيضا)(١١) لذلك أتت فواصل الآيات، ولا سيما في السور المكية متوافقة وموحية، ففي ذلك تشويق وإثارة وهذا دليل على عظمة الخالق، وروعة القرآن الكريم، يقول فاضل السامرائي (فقد ترى انه مرة يقدم كلمة ومرة يؤخرها انسجاماً مع فواصل الآيات)(١٢).

أن العلاقة بين جرس الألفاظ، ومدلولاتها قد لا يحس بها الجميع بصورة متشابهة، فهناك عوامل تحدد قوة التخيل والتأثر للمتلقي، كالإحساس المرهف، وسعة الاطلاع، والخبرة، يقول مجيد عبد الحميد (من الطبيعي أن تختلف الدلالة التصويرية الإيحائية للألفاظ عند المبدع والمتلقي على السواء باختلاف الإطار الذوقي العام، والخبرات المكتسبة الخاصة عند كل منهما)(١٣). وقد أتت فواصل السور المباركة في القرآن الكريم متنوعة، من اجل التأثير، ودفع الملل عن النفس. ويعلل الزيدي ذلك بقوله: (لان الكلام إذا استمر على جرس واحد وإيقاع واحد لم يسلم من التكلف وإثارة الملل في النفوس، وذلك شيء معروف في الموسيقى، إذ

(١٠) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن: كاصد ياسر الزيدي، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد (٩)، ١٩٧٨م / ٣٣١.

(١١) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي هلال، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م / ٣١٠.

(١٢) التعبير القرآني: فاضل السامرائي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٩م / ١٩٥.

(١٣) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: مجيد عبدالحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٤م / ٥٦.

يتغير الإيقاع في الدرجة والنوع)[١٤] ويشتد تأثير الأصوات عندما تعبر عن المعاني التي تقصدها كالمدح، والذم، والفرح، والخوف. لقد تضمن القرآن الكريم الأساليب البلاغية الموحية، والمؤثرة، يقول أنيس المقدسي (فإذا نظرت فيه عبارة عبارة رأيت قوة السبك (...) مقرونة بما يناسب شعور النفس من عنف حين العنف ورقة في موقف الرقة)[١٥].

فاصلة النون ومدلولاتها في السور التي وردت فيها قصة النبي يونس عليه السلام

ما أبلغ القرآن الكريم! وما اجمل فواصله! انها تدخل القلوب وتهز أوتاره هزاً، فهي تعبر بأصواتها الموحية ومعانيها العميقة عن الإعجاز الذي اذهل البلغاء. لقد اثر القرآن الكريم في لغة العرب وصقل السنتهم بأسلوبه السلس، فتحسنت لهجتهم، وسهلت الفاظهم، واستمد منه الشعراء والخطباء الأساليب البلاغية الرائعة، للاستشهاد بها في المناسبات العديدة.

يشعر الإنسان بكل ما يحيط به عن طريق الحواس، وقد خلق الإنسان في احسن تقوم، فوهبه الله تعالى حاسة السمع والبصر والشم، والذوق، واللمس ليتمتع بكل ما هو جميل من نعم الله تعالى. كالألوان والأصوات (فللون والصوت شأن كبير في مسألة الجمال، فاللون والصوت كما يقول العلم انما هي احساسات تحدثها

---

(١٤) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن: كاصد ياسر الزيدي، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد (٩)، ١٩٧٨م/ ٣٥٣.

(١٥) تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي: أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٦٠م/٥٥.

في عقولنا حركات الهواء أو الأثير التي تؤثر في أعصابنا)[١٦].

وردت في سورة يونس قصص صور الله تعالى فيها جزع الإنسان وذعره من الغرق، وتنتهي هذه الآيات الكريمات بفاصلة النون، قال الله عز وجل: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ)[١٧] أي أن الله عز وجل (يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالأرجل والدواب والفلك الجارية في البحار أو يخلق فيكم السير لينشركم حتى إذا كنتم في الفلك) أي السفن (وجرين) أي السفن (بهم) بمن فيها رجوع من الخطاب إلى الغيبة للمبالغة (بريح طيبة) لينة الهبوب لا عاصفة ولا ضعيفة (وفرحوا بها) بتلك الريح للينها واستقامتها (جاءتها) أي الفلك أو الريح الطيبة أي تلقتها (ريح عاصف) ذات عصف أي شديدة الهبوب (وجاءهم الموج) هو ما علا على الماء (من كل مكان) من البحر أو من جميع أمكنة الموج (وظنوا انهم أحيط بهم) اهلكوا جعل إحاطة العدو بالحي مثلاً في الإهلاك (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير إشراك به لأنهم لا يدعون حينئذٍ معه غيره. تقولون (لئن أنجيتنا من هذه) الأهوال أو من هذه الريح (لنكونن من الشاكرين) لنعمتك مؤمنين بك مستمسكين بطاعتك)[١٨].

وتضمنت القصة الثانية ما أصاب قوم نوح عليه السلام عندما كفروا فأغرقهم الله عقابا، وعبره للأمم كلها. قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ

---

(١٦) فلسفة الجمال: جاريت، تعريب عبدالحميد يونس وآخرون، دار الفكر العربي، القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ / ٨١.

(١٧) القرآن الكريم، سورة يونس / الآية (٢٢).

(١٨) تفسير النسفي: أبو البركات عبدالله النسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ، ٢/ ١٥٨.

يَا قَوْمِ إنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ)[١٩].

صورت هذه الآيات ما أصاب قوم نوح من عذاب وغرق بعد أن كفروا، فلم يصدقوا دعوته (فداموا على تكذيبه (فنجيناه) من الغرق (ومن معه في الفلك) في السفينة (وجعلناهم خلائف) يخلفون الهالكين بالغرق (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) هو تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على مثله وتسلية له)[٢٠].

وصورت القصة الثالثة غرق فرعون وجنوده بعد أن طغى في الأرض وتجبر، وافسد، فقال عز وجل: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ)[٢١]. كذب فرعون موسى عليه السلام فجعله الله عبرة (فاليوم ننجيك). نلقيك بنجوة من الأرض فرماه الماء إلى الساحل كأنه ثور. (ببدنك). في موضع الحال أي الحال التي لا روح فيك وانما أنت بدن أو ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه

---

(١٩) القرآن الكريم، سورة يونس / الآية (٧١ ـ ٧٣).

(٢٠) تفسير النسفي، ٢ / ١٧١. القرآن الكريم، سورة يونس / الآية (٩٠ - ٩٢).

(٢١) القرآن الكريم، سورة يونس / الآية (٩٠ ـ ٩٢).

شيء ولم يتغير، أو عريانا لست إلا بدنا غير لباس أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها. (لتكون لمن خلفك). لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو إسرائيل وكان في أنفسهم أن فرعون اعظم شانا من أن يغرق وقيل اخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه. وقيل لمن خلفك: لمن يأتي بعدك من القرون)[٢٢].

وذكر الله تعالى في القصة الرابعة قوم يونس عليه السلام فقال الله تعالى: (فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (٩٨) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ)[٢٣].

قيل في تفسير هذه الآيات: (أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب (....) برزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان والدواب وأولادها فحن بعضهم إلى بعض واظهروا الإيمان والتوبة فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء)[٢٤].

ووردت قصة النبي يونس عليه السلام في سورة الصافات وكانت الفاصلة هي النون. قال تعالى: (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلا

(٢٢) تفسير النسفي ٢ / ١٧٥.

(٢٣) القرآن الكريم، سورة يونس / الآية (٩٨ ـ ١٠٠).

(٢٤) تفسير النسفي، ٢ / ١٧٧.

أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)[٢٥]. هرب يونس عليه السلام غاضبا من قومه (إلى حيث لا يهتدي إليه الطلب، فسمي هربه من قومه بغير إذن ربه اباقا مجازا. (إلى الفلك المشحون) المملوء. وكان يونس عليه السلام وعد قومه الذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر وركب السفينة فوقفت. فقالوا ههنا عبد ابق من سيده وفيما يزعم البحارون أن السفينة إذا كان فيها ابق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال انا الأبق وزج بنفسه في الماء فذلك قوله (فساهم) فقارعهم مرة أو ثلاثا بالسهام والمساهمة: إلقاء السهام على جبهة القرعة (فكان من المدحضين) المغلوبين بالقرعة. (فالتقمه الحوت) فابتلعه. وهو مليم. داخل في الملامة. (فلولا انه كان من المسبحين). من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح أو من القائلين لا اله إلا الله أنت سبحانك اني كنت من الظالمين أو من المصلين قبل ذاك (....) (للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) الظاهر لبثه إلى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا إلى يوم القيامة. وقد لبث في بطنه ثلاث أيام أو سبعة أو أربعين يوما. وعن الشعبي التقمه ضحوة ولفظه عشيه (فنبذناه بالعراء) فألقيناه بالمكان الخالي الذي لا شجر فيه ولا نبات. (وهو مليم) عليل مما ناله من التقام الحوت. (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين). الجمهور انه القرع وما فائدته أن الذباب لا يجتمع عنده وانه أسرع الأشجار نباتا وامتدادا وارتفاعا)[٢٦].

وذكرت قصة يونس عليه السلام في سورة الأنبياء. وكانت الفاصلة هي

(٢٥) القرآن الكريم، سورة الصافات / الآية (١٣٩ _ ١٤٨).

(٢٦) تفسير النسفي، ٤ / ٢٨ _ ٢٩.

النون أيضا. قال عز وجل: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)(٢٧). صورت هذه السورة الكريمة ما أصاب يونس عليه السلام الذي ابتلعه الحوت: (وذا النون. أي اذكر صاحب الحوت. والنون الحوت فأضيف إليه. (إذ ذهب مغاضبا) حال أي مراغما لقومه ومعنى مغاضبته لقومه انه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها روي انه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يتعظوا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضبا لله وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر وينتظر الأذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتلى ببطن الحوت (...) فنادى في ظلمات أو ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت. أن، أي بأنه لا اله إلا أنت. أو بمعنى أي. (سبحانك اني كنت من الظالمين) لنفسي في خروجي من قومي قبل أن تأذن لي. في الحديث: ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له. وعن الحسن ما نجاه الله إلا إقراره على نفسه بالظلم. (فاستجبنا له ونجيناه من الغم). غم الزلة والوحشة والوحدة. (وكذلك ننجي المؤمنين) إذا دعونا واستغاثوا بنا)(٢٨).

عبر صوت النون عن التحذير، والتذكير بما يصيب الإنسان من عقاب، فهو صوت مجهور قوي. أن من أقوى الأصوات (الأصوات الأنفية والجانبية مثل النون في كلمة (من)، والميم في كلمة (دم) واللام في كلمة (مال)(٢٩). كما أن صوت النون يخرج من الخياشيم وهي من أعضاء التنفس، والنطق وفي هذا

(٢٧) القرآن الكريم، سورة الأنبياء / الآية (٨٧).

(٢٨) تفسير النسفي، ٣ / ٧٨.

(٢٩) محاضرات في اللغة: عبدالرحمن أيوب، مطبعة المعارف، بغداد، دون طبعة، ١٩٦٦، ١ / ١٤٠.

الترابط الثنائي بين أعضاء التنفس ومخرج النون دلالة إيجابية تذكر بها الأجواء المائية، والرعب الذي يصيب الإنسان وسط الأمواج المتلاطمة خوفا من الغرق فالتجويف الأنفي (يندفع الهواء من خلاله عندما ينخفض الحنك اللين فينفتح الطريق أمام الهواء الخارج من الرئتين ليمر من طريق الأنف، وهذه هي الحال عند النطق بالنون والميم العربيتين)[٣٠]. وينبعث أنين عميق من صوت النون ينسجم مع الحزن، والألم، والحسرة، فهذا الصوت يدل على الكرب، والبلاء، ومن أصوات المكروب (الرنين والهنين والحنين والأنين والخنين)[٣١].

يوجد ترابط شكلي بين حرف النون، وقاع البحر ـ ن ـ وهذه الدلالة الشكلية تؤثر في المتلقي، وتقرب إليه الصورة والدلالة. كما ورد حرف النون كثيرا في سورة يونس وتضمنت السورة أسماء لم تخل من حرف النون مثل: نوح ـ فرعون ـ يونس. وقد اظهر فرعون الندم قبيل هلاكه وسط الأمواج المتلاطمة، وطلب النجاة، وتضمن الندم، والنجاة حرف النون، وهذا الصوت (به ظهور الأشياء وعلمها وإدراكها كما دل عليه موقعه في اسم النور، والنار، والنيل، والنمو، والباهة، والنقاء، والنصح، والنبأ، والنجابة، والنجاة، والنحت، والندم)[٣٢].

كما ندم يونس عليه السلام، وهو يسبّح في جوف الحوت طلبا للنجاة والخروج من بطن الحوت والظهور على الساحل.

أن اللغة العربية (لغة شعرية تتبجس بالأجراس والموسيقي ونحن نعتقد أن القرآن انما بهر العرب بما احتوى عليه من رنين موسيقي أولا وقبل كل شيء)[٣٣].

(٣٠) علم اللغة العام: كمال محمد بشير، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م/ ٢/ ٨٩. الحنك: أعلى باطن الفم.

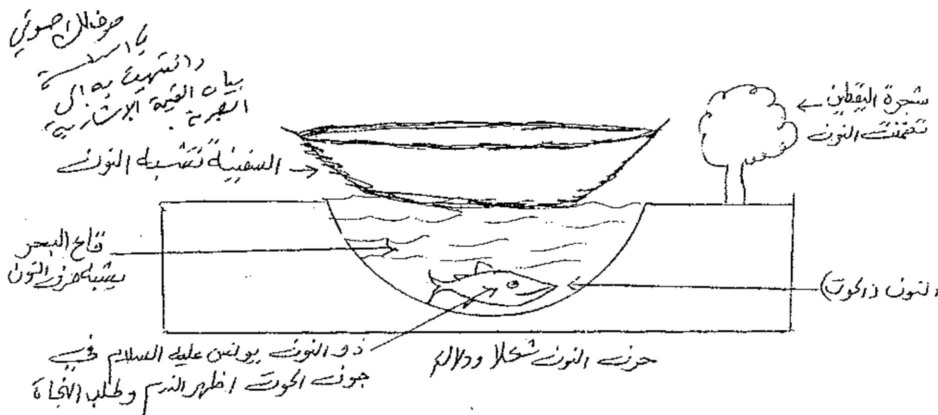
(٣١) من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ١٤٥.

(٣٢) نظم الدرر في تناسب الأيات والسور: البقاعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م، ٢٠/ ٢٧٥.

(٣٣) القصة في الأدب العربي القديم: عبدالملك مرتاض، دار مكتبة الشركة الجزائرية، ط١، ١٩٦٨م/ ٢١٨.

وتعني كلمة النون الحوت. وقد تضمن البحر الذي يشابه حرف النون الحوت. وتضمن جوف الحوت يونس عليه السلام. وتضمن اسم يونس حرف النون. وفي هذه التداخلات صورة لمعاناة يونس عليه السلام في جوف الحوت وفي البحر، فمرت عليه الليالي بطيئة ثقيلة.

ولدت الفواصل قوة بلاغية، وإيقاعية في القرآن الكريم؛ لتزيد التأثير في المستمعين، ولا سيما بعد أن شاع الجهل، والكفر في كافة الأنحاء من وجه الأرض. فبعث الله تعالى النبي محمدا صلى الله عليه وسلم لإنقاذ البشرية كلها، وانزل عليه القرآن الكريم متحديا بالشعراء، والخطباء، ففي آياته حكم، ومواعظ، وعلوم، وفي فواصله إيحاء بليغ (لذا عني القرآن بتوافقها في كثير من السور والآيات، وبخاصة السور المكية، إذ كان للجرس أثره في أحداث التأثير النفسي والوجداني المطلوبين في بدء الدعوة الإسلامية خاصة)[٣٤]. فقد يدل إيقاع الفاصلة على المضامين المقصودة، كما دلت فاصلة النون على الأجواء المائية وعلى الغرق، في سورة يونس.



(٣٤) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن: كاصد ياسر الزيدي، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد (٩)، ١٩٧٨م / ٣٥١.